الفقيه الظاهري ابن حزم الاندلسي ومذهبه

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

كنت قد اقتنيت كتاباً قبل بضع سنوات عنوانه «ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» تأليف الدكتور عبد الحليم عويس، تناول فيه حياة هذا الفقيه وآراءه في مختلف النشاطات التي مارسها، ولا سيما موقفه الفقهي الذي اتسم بالظاهرية قياساً على بقية المذاهب الاسلامية التي أخذت بالرأي، الى جانب اعتمادها على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعُرفت بالاجتهاد على ما بينها من تفاوت مما نشهده في مذاهب اهل السنة الأربعة، الى جانب مذاهب الشيعة والخوارج (وقد انقرض المذهب الأخير، الا من بقية تسمى الاباضية في الشمال الافريقي وسلطنة عمان)، وهكذا فإن المذهب الذي أخذ به ابن حزم، هو مذهب غير هذه التي ذكرنا، وهدفي ان نتعرف عليه.

❖ ابن حزم الظاهري وما مارسه من أعمال:

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم المولود سنة ٣٨٤هـ والمتوفى سنة ٤٥٦هـ وتلامذته الذين نشروا مذهبه، وأهمهم المؤرخ ابو عبد الله محمد بن ابي نصر الحميدي، المتوفى سنة ٤٨٨هـ، ثم صاعد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣هـ ولكن الظاهرية ترجع اصلاً الى اواسط القرن الثالث الهجري، اذ بدأت على يد الفقيه داود بن علي بن خلف القاشاني المتوفى سنة ٢٧٠هـ، وقد كان في الاصل شافعياً، ثم اتخذ طريقاً خاصاً، يتلخص في الأخذ بظاهر القرآن الكريم، وعدم قبول القياس والتأويل، وهو أول من قال بالأخذ بالظاهر من الكتاب والسنة،

وألغى ما سوى ذلك، ولهذا سمي داود الظاهري، وعُرف اتباعه بالظاهرية.

وقد خرج دواد على الاصول والقواعد الفقهية لدى الشافعية، وله في هذا الشأن مؤلفات كثيرة، ذكرها ابن النديم في كتابه «الفهرست»، وهي تدل على سعة اطلاعه، ثم كان ابن حزم الاندلسي من اتباعه، ولذلك سمي بالظاهري ايضاً «تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن، الطبعة الثامنة، ج٣/٣٤٧-٣٤٨».

وعلى اي حال فإن ابن حزم اعتمد على منهج الحديث وعلى الظاهر في توثيق سند الرواية ومتنها، وأخذ بأسلوب التحقق العقلي والنقد الداخلي ورصد الظواهر وتجميعها، (وفقاً لما ذكره عبد الحليم عويس)، بخصوص كتاب ابن حزم المسمى «حجة الوداع»، حيث ظهر هذا النهج واضحاً، فقد قدم له ابن حزم بسرد وجيز للوقائع التاريخية المتعلقة «بحجة الوداع»، ثم اتبعها بإيراد الأحاديث المؤيدة لكل ما ذكر.

وعلى أي حال فإنني كنت أظن ان الظاهرية قد اختفت من الوجود، ولكنني عندما قضيت (١٨) عاماً في السعودية استاذاً في جامعة الرياض، لاحظت في الصحف اسمين على الأقل ينتسبان الى الظاهرية، أحدهما هو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الذي رجع اليه عويس عدة مرات في مؤلفاته السبعة ولا سيما «تاريخ المذهب الظاهري» و «حوار حافل مع شيخ الظاهريين» و «الظاهرية ومدلولاتها» (انظر ص٩٠ وهوامشها ٣و٤ و ص٤٢١-٤٢٢).

وأما الثاني فهو ابو تراب الظاهري (ص١٢) وهذا ما جعلني اعتقد بأن الظاهرية لا زالت موجودة بيننا، وان من حق الجيل الحاضر ان يعرف شيئاً عنها، ولذلك عمدت لتلخيص اهم النقاط الواردة في كتاب الدكتور عويس وتقديمها لقراء مجلتنا الغراء «هدي الاسلام»، علماً بأنني لاحظت تعاطف المؤلف مع الظاهريين، رغم محاولته الحياد واتباع الامانة العلمية، وبإمكاني ان أؤكد للقراء بأن ما جاء في هذا المقال يعكس الى حد كبير موقف المؤلف عويس المتعاطف مع الظاهرية، فضلاً عن تعاطف بعض المستشرقين الذين حققوا بعض مصادرها ونشروها، وفضلاً عن تعاطف الحكومة الاسبانية التي خصصت اسبوعاً للاحتفال بذكرى «ابن حزم» وإحياء ذكراه بإقامة تمثال له في قرطبة (ص١٢) وسمي «اسبوع ابن حزم».

ومن الادلة على تعاطف عويس مع ابن حزم ما جاء في (ص٥٧) عند ذكره عودة ابن حزم الى قريته، فقال: «بعد ان تكالب عليه الفقهاء» ولا شك انه يقصد «فقهاء المسلمين» ولا أظن ان من اللائق اطلاق

صفة «التكالب» عليهم مهما كان موقفهم من ابن حزم!!.

وعلى اي حال فإن ابن حزم لم يكن مجرد مجتهد في الاحكام الدينية، بل كان له نشاط واسع في التأليف، كما سنرى ان شاء الله في مختلف المواضيع (ص١١٠-١٢١).

هذا وترجع علاقة ابن حزم بالاسلام الى عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اذ كان جده الاعلى وهو يزيد الذي كان من موالي يزيد بن ابي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احد قادة فتح الشام، وكان فارسياً في الاصل (ص٥١) وكان احد اجداده بعد ذلك، وهو خلف بن معدان، وهو الذي دخل الاندلس مع موسى ابن نصير سنة ٩٣هـ، ولكن بعض المؤرخين -ولا سيما الاجانب- يُرجع بأصله الى أسرة اسبانية نصرانية، مما رفضه ابن حزم نفسه، وقد نشأ في عائلة ذات مقام كبير حتى تولى أبوه الوزارة للحاجب المنصور (ص٥١-٥٩) ولذا حظي ابنه بالتعليم على يد علماء زمانه، بما في ذلك المنطق والفقه والحديث والأدب والتاريخ على أيدي كبار الاساتذة، مثل الحسين بن علي الفاسي، وهو من طبقة ابن عبد البر وأمثاله ممن حفلت كتب التراجم بسيرهم، وكان يمنِّي نفسه بزيارة بغداد قبلة العلوم في زمانة، فلم تتح له الفرصة (ص٧٢) فقال شعراً:

ولي نحو اكناف العراق صبابة
ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم
فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك تدري ان البعد غصة
وان كساد العلم آفته القرب

اما بالنسبة للوظائف فإنه تولى قمتها وهي الوزارة كأبيه، ولكنه شغل نفسه بالعمل لبعث الدولة الأموية بالأندلس، مما استدعى بقاءه في قرطبة على أمل اعادتها للوجود، وفيها ولي الوزارة للخليفة عبد الرحمن بن هشام سنة ٤١٤هـ، ولكنها لم تدم طويلاً ففارقها، ثم عاد اليها في الفترة (٤١٨-٤٢٤هـ) غير انه لم يل اي منصب علمي ولا قضائي (ص٧١)، كما انه اصبح شريداً لفترة ما.

❖ ابن حزم ونشاطاته:

وعندما فارق ابن حزم قرطبة، ذهب الى جزيرة «ميورقة» وفيها واجه عدواً لدوداً هو محمد بن سعيد الموروقي (ص٧٣-٧٤) أحد المالكية المتعصبين ضد ظاهريته، فهرب الى اشبيلية ولقي معارضة مماثلة، وفي خضم هذه الأحوال لقي الطبيب الاسرائيلي، واسمه «اسماعيل بن يوسف المعروف بابن النغريلة» وكانت بينهما مناقشات حول الملل والنحل، فناظره فيها

ابن حزم سنة ٤٠٤هـ (ص٧٥-٧٦).

ثم تنقل في بقاع الأندلس، ومنها جزيرة ميورقة آنفة الذكر، وفيها جاهر بمذهبه الظاهري (ص٧٦)، ولكنه أخفق في حمل اهلها على قبول هذا المذهب، فغادرها الى قرطبة الا انه لقي فيها موقفاً مماثلاً حتى أقصاه اهلها وحرقوا كتبه، وكان اكبر اعدائه سليمان بن خلف الباجي، الفقيه المالكي الذي رحل الى الحجاز والعراق، ولقي فيها العلماء، وقد استغرقت رحلته (١٣ عاماً) وكان من مناوئيه ابن عبد البر، ولكنها مناوأة مؤذية (ص٧٧-٧٨). وقد وجد عدد غير قليل من العلماء ممن أيدوا مذهبه (ص٧٩).

ومما ذكره عنه مؤلف الكتاب، وفاءه وتدينه، ونقل بعض أقواله التي تؤيد هذا المنحى، مما نجد تأييده في كتابه «طوق الحمامة» والى جانب ذلك فإن ابن حزم عُرف بالشدة في إصدار الأحكام، غير ان بعض مؤيديه يفسرها بالصراحة والشجاعة والجرأة التي عرفت فيه حتى وفاته.

وقد اتجهت حياته بالتصدي للتعليم وتفقيه التابعين والمواظبة على التأليف (ص٨١-٨٤)، وخاصة الفلسفة والمنطق والتاريخ، علاوة على الفقه، وحيث انه اتخذ الظاهرية مذهباً، فإنه يرفض التأويلات والافتراضات العقلية، وقد احتل ذلك جانباً مهماً من فكره، مما جعله أصولياً فقيهاً مجتهداً، وصاحب مدرسة الحديث والأثر في مواجهة مدرسة الرأي والقياس، وهو يقول: «ان دين الله ظاهر، لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه» وأمر قراءه باتهام **«كل من يدعو الى ان يُتبع بلا برهان، وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً، فهي دعاوى ومخارق، واعلموا ان رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا كان عنده ﷺ سر ولا رمز ولا باطن» (ص٩٠-٩١).**

لقد اختار ابن حزم الظاهرية بتأثير ظروف فكرية وتاريخية في العصر الذي ساد فيه الانحلال وتردي الأخلاق، وصيرورة الفقهاء «حسب ظن المؤلف» عضداً للأمراء في تبرير طغيانهم وظلمهم «كذا» وقد أتيح لابن حزم قراءة الفقه المالكي، وغيره من المذاهب، واستنتج من قراءته -حسب قول المؤلف- ان القياس والاستحسان، قد اصبحا من اسباب الخلاف، وكان على الفقهاء ان يكيفوا بين احكامهم وبين مقتضيات الحياة الفاسدة (كذا..)، مما مسخ أصول الدين وآدابه، فكانت «ظاهرية ابن حزم» هي رد الفعل لما سماه المؤلف بالوصولية.

وقد حاول ابن حزم اصلاح الموقف باصلاح ما سماه فساد الفقه، وإشاعة نظام اسلامي يملك التأثير على الحكام،

وقد وجد -حسب زعم المؤلف- التأويل بإسم القياس والاستحسان والتعليل، تجاوزاً على ما سماه «الدلالات الصريحة».

وحاول تنفيذ الاصلاح بواسطة الحكام، ولكنه فشل، ولذلك عمد لاصلاح فساد الفقه حسب تعبيره، بالامتناع عن استخدام القياس، والاستحسان والتعليل، فاختار المذهب الظاهري، لأنه حسب رأيه يوجب الاجتهاد ويمنع التلاعب بالنصوص، وقد تدرج ابن حزم من المذهب المالكي السائد في المغرب والاندلس، الى المذهب الشافعي، ثم انتهى به الأمر الى المذهب الظاهري الذي أوجده داود الظاهري، كما اسلفنا، لكنه خالفه في بعض مسائله الاساسية، حتى صار الناس يسمونه «المذهب الحزمي» (ص٨٨-٨٩).

وقد رصد عويس للمذهب الظواهري خصائص معينة منها (ص٩٤):

١- الالتزام بالنص قرآناً وسنة ثابتة في حدود المعنى الظاهر، بحكم دلالة اللغة.

٢- الاعتراف بإجماع الصحابة وتابعيهم كمصدر للتشريع، ورفض القياس والاستحسان وسد الذرائع، ويضاف الى شرط الاجماع مصدر يسمى «الدليل».

٣- المساواة بين الصحابة، وقد يؤخذ كلام بعضهم ويُترك كلام البعض الآخر، فالشريعة وحدها هي المتقيد بها.

٤- النظر الى أئمة المذاهب نظرة متساوية، ولا معنى للتعصب لمالك مثلاً دون الشافعي.

٥- رفض التقليد ويكفي ان القائلين به مقرون على انفسهم بأنه لا يحل لأحد ان يأخذ بقول أحد بلا برهان.

٦- اذا خالف أحد العلماء الجماعة فلا حجة في الكثرة بالنسبة للقلة لأن «اهل الفضل وقليل ما هم».

٧- العبرة في الأمور هي بالفعل، فإذا روى الصحابي حديثاً عن النبي ﷺ ثم روي عن ذلك الصحابي فعل خلافه، فيؤخذ فعله ويترك ما روي عنه.

٨- رفض التعليل، فالشريعة تعبدية، والمعقول منها نص الله على معقوليته.

٩- طريقة الاستدلال على الأحكام، تبدأ بآية أو بحديث نبوي، او بالإجماع، أي إجماع كل عصر اذا لم يتقدم في المسألة خلاف من جانب العلماء المجتهدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعلماء الأمصار وأئمة الحديث ومن تبعهم، وتعرض المسألة بالنسبة لهذه الاعتبارات، ويتم اقرارها

تبعاً لذلك.

١٠- ويأتي بعد ذلك دور التحليل، والنقد، فيصحح الأمر أو يضعف، أو يعدل او يجرح او يقبل او يرفض مع مناقشة الحجج التي اقرته او رفضته.

١١- احتفاؤه بغرائب الفقه، وجمع من غرائب فقه الصحابة والتابعين ومن بعدهم، الشيء الكثير الذي يستنبط منها مدى السعة والشمول والتطور والمرونة في التشريع الاسلامي.

وقد طبق ابن حزم هذه المعالم وقدم في ضوئها مذهباً فقهياً «حزمياً» وذلك عبر موسوعته المسماة «المحلى» الذي حمل مذهباً مقارناً بالمذاهب الأخرى، وقد تضمن حلولاً لـ (٢٠٢٨) مسألة من مجموع مسائله البالغة (٢٣١٢) مسألة، وبسبب وفاته لم يكملها، وقد بلغ ما طبع منها (٧٠٥٠) صفحة، وهي مختصر لما جمع من مسائل عددها (١٢٩٠٣) مسألة تضمن آراء (٥٤٦) عالماً سلفياً، يضاف اليها آراء في (٢٥٠) مسألة لفريق من الصحابة رضي الله عنهم (ص٩٢-٩٦).

ويقول الدكتور عويس: ان ابن حزم في تجديده واستقلاليته وعمقه، يشبه الامام الشافعي رحمه الله من ناحية الالتزام بالأثر، كما يتفق في هذا الباب مع الامام احمد بن حنبل رحمه الله، مما يبدو في منهجه من تضييق.

ثم ان التزامه بالظاهر قد هداه «حسب رأي عويس» الى آراء فقهية اعتبرت سابقة لعصرها، ومنها رأيه في حق المكاتبة للعبد ومساواته للحر في عدد الزوجات، ثم رأيه في الغناء، وفي منع تأجير الأرض الزراعية، اذ هي لمن يزرعها، ووجوب انفاق الزوجة على زوجها ان كانت موسرة، كما انه كان رائداً في الوصية الواجبة للأقارب غير الوارثين، وإعطاء القاضي حق تنفيذ تلك الوصية (ص٩٦-٩٧).

❖ منهج ابن حزم في العلوم العربية والفلسفة:

ومنها قوله: ان اللغة العربية فرض تعلمها على الفقيه، لأنه بها يفهم معاني الكلام، ومن يجهل اللغة والنحو، فإنه لم يعرف اللسان الذي خاطب به الله تعالى نبينا محمداً ﷺ، ومن لا يعرف هذا اللسان لا تحل له الفتيا، لأنه يفتي بما لا يدري، وقد افترض ابن حزم ان اللغة كانت واحدة، ثم صارت لغات كثيرة، اذ توزعها بنو آدم، لكنه لا يفضل لغة على أخرى، وكانت نظرته الى اللغات من حيث كونها «مجموعات» وهي -في نظر عويس- نظرة رائدة لم يسبق اليها من جانب علماء أوروبا، اذ سبقهم ابن حزم بقرنين، وكان الى جانب ذلك شاعراً وله القصيدة

النقفورية التي أجاب بها ملك الروم «نقفور» حينما تهجم على الاسلام والمسلمين بقصيدة (وهي في ٩٦ بيتاً) ارسلها الى الخليفة العباسي المطيع فرد عليها ابن حزم بقصيدة بلغت (١٠٧) ابيات اما قصيدة (نقفور) فمطلعها:

من الملك الطهر المسيحي مالك

الى الأملاك من آل هاشم

الى الملك الفضل المطيع أخي العلا

ومن يرجّى للمعضلات العظائم

ويختمها بقوله:

فعيسى علا فوق السموات عرشه

يفوز الذي والاه يوم التخاصم

وصاحبكم بالترب أودى به الثرى

فصار رفاتاً بين تلك الرمائم

تناولتم اصحابه بعد موته

بسب وقذف وانتهاك المحارم

فرد عليها ابن حزم بقصيدة مطلعها:

من المجتبي بالله رب العوالم

ودين رسول الله من آل هاشم

محمد الهادي الى الله بالتقى

والرشد والاسلام افضل قائم

ثم رد على افتراءات الأعداء، وختم قصيدته بقوله:

لنا كل علم من ديم ومحدث

وانتم حمير داميات المحارم

اثبتم بشعر بارد متخاذل

ضعف معاني النظم جم البلاعم

فدونكما كالعقد فيه زمرد

ودرّ وياقوت بإحكام حاكم

وهكذا كان ابن حزم شاعراً بليغاً، كما كان كاتباً قديراً، وان كتابه «طوق الحمامة» خير دليل على رقي اسلوبه الأدبي، وما فيه من ادب فلسفي في الحب العذري، علاوة على كتابه «الفصل» الذي بسط فيه آراءه عن الاعجاز القرآني، وهو لا يتفق مع علماء عصره في معاداة الفلسفة والمنطق اللذين وجد فيهما فوائد أكيدة.

وقد لاحظ بعض الباحثين انه في كتابه «التقريب» قدم عرضاً شعرياً لمنطق «ارسطو» فكان بذلك خير من شرح مستغلقه وأوضح غموضه، ويُعتبر كتاب «الفصل» معرضاً للمذاهب الفلسفية والآراء الكلامية القيمة، اذ يناقشها ويعرضها على الفكر الاسلامي، ويرد عليها بأدلة نقلية وعقلية، وكذلك رسائله التي تضم كثيراً من آرائه الفلسفية، حتى ليمكن القول: إن فكر ابن حزم العلمي والفلسفي كان فكراً اسلامياً خالصاً (ص٩٧-١٠٠ و ١٤٥-١٤٦).

❖ ابن حزم ومؤلفاته وكثرتها:

يعتبر ابن حزم من اكثر المسلمين

تصنيفاً، ان لم يكن اكثرهم مطلقاً، وقد طرق مختلف العلوم والفنون الى جانب مناقشة المعارضين له بنحو (٤٠٠ مجلد) بصفحات تقدر بثمانين ألف ورقة، والورقة صفحتان، حتى اعتبره المؤرخ «فيليب حتي» أحد الاثنين او الثلاثة الذين يمثلون أخصب المسلمين في التأليف، وأغزرهم مادة، وقد أحصى له المؤلف عويس ٨٩ رسالة مفقودة، أما مؤلفاته الموجودة فتبلغ (٥٣) ويصل بعضها الى (٤٠) مجلداً، وقد رجع المؤلف الى (١٦) منها، وهي تنظم اكثر المعارف المتصلة بالعلوم الانسانية، وبعضها ابتكر ابن حزم موضوعاتها الجديدة مما ينم عن صدقه ودفاعه عن مبادئه وإيمانه القوي المتين بالله وبرسالة الاسلام وعلومه، وانه يمثل البداية للمرحلة الأخيرة في تاريخ الفكر الاسلامي وهي ذروة التفكير العقلي الاسلامي التي انتهت بابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ (ص١١٠-١٢١).

ولا غرابة في ذلك فإن ابن حزم عاش في قرطبة التي كانت تعتبر أعظم مدن اوروبا وثاني مدينة في العالم بالنسبة لبغداد الأولى (ص٢٧) واستمرت قيادة قرطبة العلمية لأوروبا واسبانيا خاصة (ص١٩-٥٠) وان المعنيين بالتراث الاسلامي يشهدون بأن ابن حزم كان كثير الانتاج، وقد سجلوا عناوين الكثير مما خطه قلمه، مما استغرق ذكرها أكثر من عشر صفحات (ص١١٠-١٢١) اذ لم يكن مجرد مجتهد في الأحكام الدينية، بل طرق عدة مواضيع اخرى، **ولنبدأ بذكر مصنفاته التي سلمت من الضياع، وعرفها المؤلف عويس وهي:**

جوامع السيرة «النبوية»، حجة الوداع، جمهرة انساب العرب، نقط العروس، المفاضلة بين الصحابة، فضائل الاندلس، الرد على ابن النغريلة اليهودي، امهات الخلفاء، الفصل في الملل والأهواء والنحل، طوق الحمامة، المحلى، الاخلاق والسير، الإحكام في أصول الأحكام، إبطال القياس والرأي والاستحسان، التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم، مراتب الاجماع في العبادات، وكتاب المجلى.

هذا وان الكثير من نتاج ابن حزم لم يكتب له النشر، مما يُفهم من كتاب نشر سنة ١٣٩٩هـ، وهو تاريخ هذا الكتاب لمؤلفه الدكتور عبد الحليم عويس، وهذه اسماء الكتب التي لم يكتب لها النشر، وهي مفقودة:

رسالة في مراتب العلوم، الإمامة والسياسة، التوقيف على شارع النجاة، اسماء الصحابة الرواة، اسماء الصحابة من اصحاب الفتيا، رسالة فتوح الاسلام، اسماء الخلفاء والولاة، رسالة الاصول والفروع، رسالة الامامة.

❖ دور ابن حزم في التاريخ:

من المصادر التي استند اليها ابن حزم، ما يمكن تسميته المصادر الحية، وهم أصحاب النزعات والأفكار الذين جادلهم وسجل آراءهم في كتبه، ومنهم:

عبد الله بن خلف الأنصاري، عبد الله ابن محمد السلمي الكاتب، محمد بن علي ابن ابي الحسين الطيب «وهو وسابقه يقولان بخلود النفس والزمان»، ثابت بن محمد الجرجاني الملحد، عبد الله بن شيف «القائل: بتعدد الازليين»، خويز بن خلف الباجي الذي جعل للجمادات تمييزاً، سليمان بن خلف الباجي «القائل بانقطاع نبوة محمد» اسماعيل بن يوسف اليهودي ابن النغريلة الذي ناظره ابن حزم، ابو الحسن الطرابلسي من المعتزلة، محمد بن عيسى الصوفي من المجسدين.

وغير هؤلاء كثيرون ممن جادلهم ابن حزم، اذ كان الجدل العلني عنده وسيلة من وسائل الجهاد (ص١٥٩-١٦١) هذا وقد عمد ابن حزم الى تطبيق منهج الظاهرية على التاريخ، من خلال انتمائه لمدرسة الحديث وتوثيق الخبر، ولمدرسته الظاهرية في فهم النصوص، وعنده ان النقل هو ميزة الملة الاسلامية من بين سائر الملل، وهو القائل: ان التزام المسلمين بهذا المبدأ هو الذي أضعف الملل الأخرى أمام مقاييس النقد الصحيح، لذلك حرص على الالتزام به، ومزجه مزجاً كاملاً مع منهج الظاهرية (ص١٦٣-١٦٩).

ومما له علاقة بهذا الشأن ان ابن حزم يؤيد الحجة التاريخية التي يقرنها بأحاديث رواها من ثماني طرق، وعددها (١٤ حديثاً) نقلت بثماني عشرة رواية، وهكذا ثم يحلل الروايات بالنسبة لرواتها، فيذكر ما فيها من قوة وضعف، ويذكر المؤلف عويس، بأن ابن حزم مع هذه الاحتياطات كلها، قد اخطأه التوفيق في بعض القضايا اذ اعتمد على بعض الرواة المجهولين، علماً بأن الجرح في الحديث عند الأصوليين هو أولى من التعديل، حيث ان البخاري اجتمع لديه (١٠٠) الف حديث لم يقبل منها الا (٤٠٠٠) حديث في صحيحه (ص١٧٦-١٨١).

ولذلك ليس غريباً ان يقع ابن حزم في بعض الأخطاء، كما ان ابن حزم يعمد احياناً لتأويل اللغة لكي يستقيم له المعنى الى ما يريد، ثم ان قسوته حيال الاشعري تدل على عدم اطلاعه على كل تراثه، كما ان له أخطاء أخرى شكلت في حقيقتها عبئاً على تراثه، وسببت له النفرة، وخاصة بهجومه على ابي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى، ولا تكاد تخلو كتاباته من هجومه على اهل الرأي والقياس وشيخهم ابي حنيفة.

ومما يناقض ابن حزم نفسه فيه، هو موقفه حيال عبد الرحمن بن هليعة، الذي ضعّفه في (١٥) موضعاً في كتابه «المحلى» وتقبّل رواياته هو في سلسلة الرواة لها، علاوة على وجود محمد بن عبد الرحمن الذي جهّله ابن حزم في موضعين من كتابه «المحلى ص١٨٢-١٨٣)، كما انه لم يخلط بين راويين كما حصل في خلطه بين كثير ابن عبد الله بن زيد، الراوي عن عمرو، وبين كثير بن زيد الاسلمي (ص١٨٣).

ثم انه يبالغ في تمجيد فضائل الاندلس وأهلها، مما يوقعه في احكام عامة ومقارنات ناقصة، وهي تفضيل الاندلس على المشرق، ومن ذلك المبالغة في وصف المؤلفات الاندلسية (ص١٨٤)، كما انه يتعصب للأمويين ضد العلويين في الاندلس، ولو كان يشجب بعض سياساتهم عند حكمهم في المشرق، فيجرمهم بقتل الامام الحسين ﵁، وقتلهم عبد الله بن الزبير ﵁، وقصفهم الحرم المكي عندما ثار ضد الحكم الاموي (١٨٦-١٨٧).

وعلى اي حال فإن تأثير ابن حزم كان واضحاً في ابن خلدون، سواء في منهج النقد التاريخي ام في التحليل، وكذلك في معرفة الأنساب لا سيما بالنسبة لأنساب البربر، وبالنسبة لقضايا الفكر التاريخي (ص٢٠٢-٢٠٣).

ومن الجدير بالذكر ان تراث ابن حزم، سواء منه ما كان مباشراً في التأريخ لحياته ام ما جاء منه عرضاً، قد قدم وثائق كثيرة شعرية ونثرية ورسائل وتراجم وجيزة للرجال الذين اسهموا في صنع الحياة الفكرية والسياسية، كما صور نماذج لحياة الطبقة الراقية المالكة لزمام الأمور في الاندلس (ص٢٦٦)، وكانت له جهود واسعة في مجال تاريخ السيرة النبوية (ص٢٢٨-٢٣٥) وفي تاريخ المشرق الاسلامي في مختلف العصور (ص٢٣٥-٢٤٦) وكذلك بصفة خاصة تاريخ الاندلس (ص٢٤٧-٢٥٧).

هذا ولابن حزم تأثير فكري في المغرب العربي، مما يلاحظ في كثير من علماء المغرب والاندلس مثل عبد الواحد المراكشي «المتوفى سنة ٦٤٧هـ»، وهو المؤرخ لدولة الموحدين (ص٢٥٨ وما بعدها)، وقد لاحظ ان سلاطين الموحدين، كانوا متأثرين بآراء الإمام الغزالي رحمه الله، وآراء ابن حزم، ومنهم السلطان يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن الذي ولي الحكم سنة ٥٨٠هـ وتوفي سنة ٥٩٥هـ (ص٢٥٩-٢٦٥).

اما بالنسبة لآراء ابن حزم، فإنه يجيز تولي المرأة للقضاء، كما يجيز ذلك للعبد، واوضح موقفه الطيب تجاه المرأة مما نجده في كتابه «طوق الحمامة» (ص٢٨١-٣٣٧).

اما بالنسبة للحكام المسلمين فإن ابن حزم يجيز عزلهم اذا كان ذلك في مصلحة المسلمين (ص٢٨١)، وفي الشؤون الاقتصادية فرأيه عدم السماح بالمزارعة بالنسبة للأرض الزراعية، الا في ثلاث حالات:

١- ان يزرعها المالك نفسه بآلاته واعوانه.

٢- او يسمح لغيره بزراعتها بشرط ان لا يأخذ منه شيئاً، الا اذا شارك بالآلات او البذور.

٣- او يعطيها لمن لا يجيز بيع الماء تأكيداً لمعنى الملكية العامة لهذا المصدر (ص٢٩٣-٢٩٦).

ولابن حزم رأي جدير بالاهتمام، وهو قوله: إنه فرض على الاغنياء في كل بلد ان يقوموا بالانفاق على فقرائهم، وان يجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تكف الزكاة بنفقتهم، وينبغي القيام لهم بما يأكلون واللباس للشتاء والصيف، وبمسكن يقيهم المطر والشمس ومن عيون المارة، عملاً بقوله تعالى: **﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾** واتباعاً للحديث الشريف القائل: «المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه (ص٣٠٩) ولابن حزم اهتمام خاص بالتعليم الذي يشمل (١١) علماً وهي «النحو واللغة والشعر والحساب والفلك والمنطق والطبيعيات، وعوارض الجو، والتشريح والتاريخ قديمه وحديثه، والفلسفة ومقارنة الأديان، والشريعة».

ويتضح مما تقدم ادخاله التعليم الواجب تعلمه يشمل علوماً عملية، يجعلها ضمن العلوم الواجب تعلمها، ومن بينها محو الامية (ص٣٢٠-٣٢٥) كما انه يرى ان من حق العبد ان يحصل على حريته متى شاء، كما يعطي لولد الزنا حقه في الحياة اذ لا ذنب له في جريمة لم يرتكبها، وهكذا سبق ابن حزم الدعوة لحقوق الانسان (ص٣٢٦-٣٢٨).

هذا ويعترف مؤرخو الاديان ومنهم آدم متز، في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٨٤/١، بأن مقارنة الاديان هو علم اسلامي نشأ بفضل التسامح الذي عرف به المسلمون تجاه الاديان الاخرى، وقد ظهرت كتابات المسلمين عن العقائد الاخرى، بما فيها الوثنية، وعقائد اهل الكتاب في سلسلة من الكتب،و مثل كتابات النونجتي (٢٠٢هـ) والمسبحي (٤٢٠هـ) وابي منصور البغدادي (٤٢٩هـ) في كتاب «الملل والنحل» ثم ظهر كتاب «الفصل والملل والأهواء والنحل» لابن حزم كحلقة في سلسلة مقارنة الاديان (ص٣٣٣-٣٣٤)، وقد كان هذا الكتاب حلقة بارزة في هذه السلسلة، كما كان للديانات